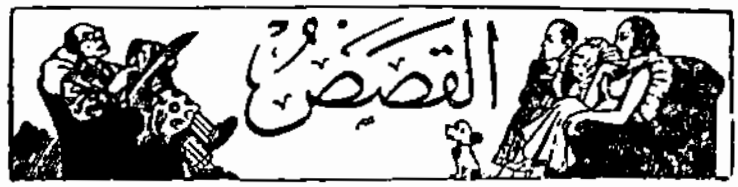

القبـــلة

للكاتب الأسباني أوسسو بلاسكو

في سجن من السجون ليس يعنينا اسمه ، كان أحد المجرمين المتاة سجيناً . والحق أنه لا ينتظر المرء في مثل هذا المكان أن يجد عدداً من خيار الناس ، بيد أنه من بين الستمائة سجين الذين كانت تضمهم جدران هذا السجن الذي نسوق الحديث عنه ، كان هذا السجين أشدهم خطراً .

كانوا يدعونه (الذئب) . وكان في الستين من عمره ، وقد أمضى من الستين اثنتان وأربعين سنة في سجون مختلفات . وكان منذ شبابه يتنقل من دار قصاص إلى دار قصاص ، وقد حكم عليه بسبب السرقة حيناً ، وبسبب القتل آخر حيناً . وإنه لمن المحال أن يقدم كشف جامع لجرائمه ، وقد حكم عليه آخر مرة لجريمة أشنع من سابقاته كلها ، بالسجن لمدة تزيد على البقية الباقية من حياته .

ولقد كان على قدر كبير من الضراوة ، وسوء الخلق ، حتى أن بقية السجناء كانوا يتحاشونه . وكان كلما مر بأحدهم نأى عن سبيله جهد المستطاع ، إذ كان (الذئب) بطبعه شراً عسر الخليقة . وقد حدث أكثر من مرة أن عض من اقترب منه كثيراً أو ركله بقدمه ، أو شكه بالأبرة ، وكان دائب العمل في جوارب من الصوف . وكان أكثر شراسة من غالبية القوم ، متعطشاً للدم كأكثر الحيوانات المفترسة .

وكان يقضي الأيام والأسابيع في صمت قاعداً على الأرض ، وأمامه عمله ، وهو مطرق برأسه . وكان رأسه مغطى بشعر أسود ، ولحيته التي سمح له أولو الأمر بالاحتفاظ بها بدافع الخوف أو التحمل ، مشعثة الشعر مهملة ، وكانت عيناه سوداوين ، ونظرته مخيفة مهددة ، وكان برغم سنيه الستين شديد القوى ، وثيق عضلات اليدين ، وكان مبعث الرعب الصامت في المكان كله . إذ كان لا يبادل الحديث أحداً ، ولا يشارك الآخرين مزاحهم الآثم ، ولكنه كان يحافظ على سمعته الذي كان الجميع يعترف به ويحترمه ، وكان كلما رفع بصره ، وألقى الطرف حوله إلى نزلاء السجن الآخرين ، أشاحوا برؤوسهم ، أو رفعوا أبصارهم إلى السماء بدلا من إلقاء نظرته .

وعين مدير للسجن جديد كان من أولى النشاط ، حازما لا يستهان به . وأخذ السجونون بسبب صمته هذه يحدجونه بنظرات آثمة ، ويتذمرون تذمراً منه دون سبب حقيق .

وكان لهذا المدير طفلة صغيرة تدعى أورورا ، لم تبلغ الخامسة بعد حين عين أبوها مديرا للسجون . وذهبت عصر يوم مع أبيها إلى فناء السجن ساعة الغداء . وبينما كان يقوم بوزن غداء السجناء ذهبت الطفلة في شجاعة الأطفال وأخذت تحدثهم ، وكلمتهم جميعا وضحك نفر منهم ، وطلب البعض منها أن تشفع لهم عند أبيها . ولكن فريقا منهم تكلم بألفاظ نابية ضد الأب وابنته .

وكان الذئب وحيدا ، بعيدا عن الآخرين ، جالسا على الأرض وظهره مسند إلى الحائط ، وغداؤه موضوع بجانبه لم يؤكل نصفه ، وكان يعمل بسرعة تبعث الدوار في صنع جورب . وكان مطرقا برأسه ولم يرفع بصره حتى عند ما أصبح الوالد وطفلته على قيد خطوتين أو ثلاث منه . ونظر بطرف عينه ، لحظة لا غير ، إلى الرئيس وابنة الرئيس .

وحاولت البنية أن تقترب منه ، ولكن أباها منعها .

وقالت أورورا « أريد أن أقترب منه ، وأتفرس فيه . »

فقال الأب « كلام إنه شرير جداً ، خطر جداً ، ربما يلطمك »

فقالت الطفلة « أنظر ، أنظر ، يا أبت ، كيف يبدو ! وإنه ليصنع جوربا ! » فقال الأب :

« إنه ليصنع ذلك على الدوام ؛ وقد أخبرني المدير السابق انه شديد الخطر ، وقد قضى في السجن كل حياته تقريباً . وله الآن هنا ثلاثون عاما . » فقالت الطفلة

« ثلاثون عاما ! يالله المسكين ! يالله الرجل المسكين ! »

ولما سمع (الذئب) الكلمات « يالله المسكين ! يالله الرجل المسكين ! »

رفع بصره ، ورمق الطفلة بعينين محملقتين ، ولـكنه لم ينقطع عن العمل بأبرته . وكان المدير على وشك أن يقول لابنته الصغيرة كلاما ، ولـكنها أنفلتت إلى الأمام وهى تصيح « سأمنحه قبلة . »

وقد فعلت ذلك . واقتربت من (الذئب) وقبلته دون اشمئزاز أو خوف ، قبلة فى وجهه تماما ، وهى تقول « خذها ، ولا تكن شريرا بعد ! »

وكأنما أصابت (الذئب) صاعقة . ولم يفه ببنت شفة ، ولـكن خرج من حنجرته صوت حشرجة ، كالشلول الذى يود الـكلام فلا يستطيع ، فلما بلغ الأب وابنته الباب المؤدى إلى سكن المدير ، التفت المجرم المجوز نحوهما وحدجهما بنظره .

ومر العصر ، ثم المساء ، وذهب (الذئب) كـكل حيوان إلى عرينه .

وتعاقبت الأيام والأشهر ، ولم يحدث فى السجن المنظم شىء ذو بال . ولـكن قامت ذات يوم من شهر يوليو عاصفة فى اليم خارج السجن ، وثارت فى نفوس السجناء ثورة تجاوب العاصفة . وارتفع نذير العصيان ، ورفض الرجال تناول الطعام الذى قدم إليهم . وانفجرت المؤامرة التى كانت تضطرم بكامل قوتها .

وهتف المسجونون « اطردوا الضباط ! ليسقط الضباط ! لنأخذ السجن ! »

وقفز المدير كالفهد من غرفته حيث كان يقيل ، وفى طريقه إلى الفناء أغلق باب مسكنه على طفلته حتى لا تتبعه . ولما دخل فناء السجن وجد أمامه ثلاثمائة رجل مسلح بملاعق خشبية كبيرة ديبت أطرافها وأرهفت حتى لتقتل كاسكا كين

وأطلق الطلقات الست من غدارته ، ولما أطلق الطلقة الأخيرة رأى وحشا حقيقيا مقبلا نحوه ، رجلا أشعث الرأس ، كأنه رأس دب ، وهو يصيح « لا تخف ! إننى هنا ! » وكان هو (الذئب) .

وأمسك المدير من حزامه ، ودفعه إلى الحائط واوراه بجسمه ، وأمسك فى يمناه مدية كبيرة الحجم ، لا يدرى أحد كيف حصل عليها ، وبدأ والمدية فى يده يستقبل العدو ، وهو يسدد طعنات صائبات حتى ان كل من اقترب من متناول يده سقط ميتا عند قدميه .

لما وصل لنجدته الحرس المسلحون والشرطة ، وانتهت المعركة ، وهدأ كل شىء ، ونجا المدير ، سقط (الذئب) ، وقد أثخنت الجراح رأسه وجسمه وكان فى حشرجة الموت .

وأدخلوه سكن المدير بناء أمره ، وأرقدوه على سرير ناعم وثير وقد على مثله الأول فى مرة حياته . ورقد هنالك ، يقلب الطرف حوله ، بعينين باحثتين متوقعتين .. وتكلم (الذئب) بصوت متقطع وهو راقد هناك بين الحياة والموت ، وهو يرمق الرجل الذى أنقذه من الموت .

وقال « الطفلة .. الطفلة » .

وفطن المدير فى لحظة إلى السبب الذى حمله على الدفاع عنه ، أجل أجل لا ريب أن ذلك هو السبب او جرى نحو مسكنه الذى أغلق بابه على ابنته ، قد نسى أن يفتح الباب حتى الآن ، وكانت الطفلة تبكى من الرعب . وأخذها بين ذراعيه وعاد بها إلى الغرفة التى كان الرجل المجوز يلفظ أنفاسه الأخيرة فيها . وكان (الذئب) المجوز راقدا وعيناه مفتوحتان محملقتان ، وما زال لديه فسحة من الوقت لرؤية المخلوق الوحيد الصديق الذى لقيه فى حياته ، وليقول :

« مرة أخرى ! مرة أخرى ! »

ورفع الأب أورورا بين ذراعيه ، وسمع صوت قبلة ، قبلة وضعتها شفتان ملائكيتان لطفلة صغيرة على ذلك الوجه المفضن الذى لفحته السنون .

ولما غادر القس المكان ، وما زال يتمتم بالصلاة وهو يحمل الزيت المقدس ، ظـــل المدير ورجال الشرطة ، ورجال الحرس ، وكما أمام الجسد فى صمت رهيب ، وأخذت الفتاة الصغيرة بناء على كلمة من أبيها تقول فى صوت حلو ، رقيق ، صوت الطفولة :

« يا أبانا الذى فى السموات ، نقدس اسمك ، .. »

محمد سليمان علي المهندس

ادارة البلديات العامة

تموين

تقبل العطاءات ببلدية الاقصر لغاية ظهـــر ١٥ مايو ١٩٥٠ عن دهان أعمدة الشبكة الـكهربائية وتطلب الشروط من بلدية الاقصر نظير مائتى مليم بخلاف أجرة البريد .

٤٥٩٧